

تفسير ابن كثير

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا

يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية (ولا تمش في الأرض مرحا) أي

متبخترا متمايلا مشي الجبارين (إنك لن تخرق الأرض) أي لن تقطع الأرض بمشيتك ؛

قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤية بن العجاجوقاتم الأعماق خاوي المخترقوقوله [

تعالى : (ولن تبلغ الجبال طولا) أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل

ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان

يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة " وكذلك أخبر الله

تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض

وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر

وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير حتى لهو أبغض إليهم من الكلب أو

الخنزير " وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع " حدثنا أحمد بن إبراهيم

بن كثير حدثنا حجاج بن محمد بن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه

ابن الأهم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج
عنها قباؤه وهو يمشي ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثان
عطفه مصعر خده ينظر في عطفه أي حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا
مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها! والله إن يمشي أحدهم
طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهم
فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى (ولا تمش
في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) .ورأى البخري العابد
رجلا من آل علي يمشي وهو يخطر في مشيته فقال له يا هذا إن الذي أكرمك به لم تكن
هذه مشيته! قال فتركها الرجل بعدورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال إن للشياطين
إخوانا وقال خالد بن معدان إياكم والخطر فإن الرجل يده من سائر جسده رواهما ابن أبي
الدينا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن
سعيد عن يحيى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشت أمتي المطيطاء
وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض "